حق اليقين

في

معرفة أصول الدين

العلامة المحقق الجليل

السيد عبد الله شبر

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

حق اليقين

في

معرفة أصول الدين

للعلامة المحقق الجليل

السيد عبد الله شبر

المتوفى عام ١٢٤٢ هـ

الجزء الاول

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .
ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

الآخرة، وتجري عليهم أحكام الإسلام في الدنيا من حقن دمائهم وأموالهم. وقيل إنهم لا يخلدون في النار ولا يدخلون الجنة، بل يكونون بعد الخروج من النار في الأعراف، وقيل إنهم يدخلون الجنة بعد العذاب الطويل، وهذا القول نادر لا يعرف قائله .

وقال آية الله العلامة في شرح الياقوت : اما دافعو النص فقد ذهب أكثر أصحابنا إلى تكفيرهم، ومن أصحابنا من يحكم بفسقهم خاصة، ثم اختلف أصحابنا في أحكامهم في الآخرة، فالأكثر قالوا بتخليدهم، وفيهم من قال بعدم الخلود، وذلك إما بأن ينقلوا إلى الجنة وهو قول شاذ عندهم، أو لا واستحسنه المصنف رحمه الله . انتهى .

قال المحقق المجلسي رحمه الله بعد نقله القول بعدم خلودهم في النار: إن ذلك نشأ من عدم تتبعهم للأخبار والأحاديث الدالة على خلودهم متواترة أو قريبة التواتر، نعم الاحتمالان الأخيران آتيان في المستضعفين منهم، والقول بخروج غير المستضعفين من النار قول مجهول القائل نشأ بين المتأخرين الذين لا معرفة لهم بالأخبار ولا بأقوال القدماء الأخيار .

قال الصدوق رحمه الله في رسالة العقائد : اعتقادنا في الظالمين أنهم ملعونون والبراءة منهم واجبة، واستدل على ذلك بالآيات والأخبار، ثم قال والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ممن ادعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون. وقال النبي صلى الله عليه وآله من جحد علياً إمامته من بعدي فإنما جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد الله بربوبيته. ثم قال واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء. واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمد صلى الله عليه وآله .

وقال الصادق عليه السلام : المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : الأئمة من بعدي اثنا عشر، أولهم أمير المؤمنين وآخرهم القائم، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي، من أنكر واحداً منهم فقد أنكرني .

وقال الصادق عليه السلام : من شك في كفر أعدائنا والظالمين فهو كافر. واعتقادنا فيمن قاتل علياً كقول النبي صلى الله عليه وآله : من قاتل علياً فقد قاتلني، وقوله من حارب علياً فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله عز وجل. وقوله صلى الله عليه وآله لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام : انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم .

واعتقادنا في البراءة انها من الأوثان الأربعة والاناث الأربع ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله، ولا يتم الإقرار بالله وبرسوله والأئمة إلا بالبراءة من أعدائهم .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المسائل : اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار. وقال في موضع آخر، اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم، فإن تابوا من بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وإن مات أحدهم على ذلك فهو من أهل النار . واجتمعت المعتزلة على خلاف ذلك، وزعموا أن كثيراً من أهل البدع فساق وليسوا بالكفار، وأن فيهم من لا يفسق ببدعته ولا يخرج بها عن الإسلام، كالمرجئة من أصحاب ابن شبيب، والتبريّة من الزيدية الموافقة لهم في الأصول وإن خالفوهم في صفات الإمام .

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله في تلخيص الشافي : عندنا ان من حارب أمير المؤمنين فهو كافر، والدليل على ذلك إجماع الفرقة المحقة الإمامية على ذلك، وإجماعهم حجة. وأيضاً فنحن نعلم أن من حاربه كان منكراً لإمامته ودافعاً لها، ودفع الإمامة كفر كما أن دفع النبوة كفر، لأن الجهل بهما على حد واحد، ثم استدل رحمه الله باخبار كثيرة على ذلك .

وقال المحقق الطوسي رحمه الله في قواعد العقائد : أُصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة، التصديق بوحدانية الله تعالى في ذاته والعدل في أفعاله، والتصديق بنبوة الأنبياء، والتصديق بإمامة الأئمة المعصومين من بعد الأنبياء .

وقال أهل السنة : الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وبكون النبي صادقاً، والتصديق بالأحكام التي تعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وآله حكم بها، دون ما فيه اختلاف واشتباه. والكفر يقابل الإيمان، والذنب يقابل العمل الصالح وينقسم إلى كبائر وصغائر، ويستحق المؤمن بالاجماع الخلود في الجنة، ويستحق الكافر الخلود في العقاب .

وقال الشهيد الثاني في رسالة حقائق الإيمان، عند تحقيق معنى الإيمان والإسلام، البحث الثاني في جواب إلزام يرد على القائلين من الإمامية بعموم الإسلام، مع القول بأن الكفر عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمناً. اما الالزام فإنهم حكموا بإسلام من أقر بالشهادتين فقط، غير عابث دون إيمانه، سواء علم منه عدم التصديق بإمامة الأئمة عليهم السلام

من أُصول الإيمان عند الطائفة من الإمامية كما هو معلوم من مذهبهم ضرورة. وصرح بنقله المحقق الطوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنهم فيما تقدم أم لم يعلم منه ذلك، ولا ريب أن الشيء يعدم بعدم أصله الذي هو جزؤه كما فيما نحن فيه، فيلزم الكفر بحكم من لم يتحقق له التصديق المذكور وإن أقر بالشهادتين، وانه مناف أيضاً للحكم بإسلام من لم يصدق بإمامة الأئمة الاثني عشر، وهذا الأخير لا خصوصية لوروده على القول بعموم الإسلام، بل هو وارد على القائلين بإسلام من لم يتحقق له التصديق المذكور، مع قطع النظر عن كونهم قائلين بعموم الإسلام أو مساواته للإيمان.

وأما الجواب فبالمنع من المنافاة بين الحكمين، ذلك لأنا نحكم بأن من لم يتحقق له التصديق المذكور كافر في نفس الأمر، والحكم باسلامه إنما هو في الظاهر، فموضوع الحكمين مختلف فلا منافاة، ثم قال المراد بالحكم بإسلامه ظاهراً صحة ترتب كثير من الأحكام الشرعية على ذلك، والحاصل أن الشارع جعل الإقرار بالشهادتين علامة على صحة اجراء أكثر الأحكام الشرعية على المقر كحل مناكحته، والحكم بطهارته، وحقن ماله ودمه، وغير ذلك من الأحكام المذكورة في كتب الفروع. وكان الحكمة في ذلك هو التخفيف عن المؤمنين لمسيس الحاجة إلى مخالطتهم في أكثر الأزمنة والأمكنة، واستمالة الكافر إلى الإسلام. فإنه إذا اكتفي في اجراء أحكام المسلمين عليه ظاهراً بمجرد اقراره الظاهري ازداد ثباته ورغبته في الإسلام، ثم يترقى في ذلك إلى ان يتحقق له الإسلام باطناً أيضاً.

واعلم أن جمعاً من علماء الإمامية حكموا بكفر أهل الخلاف، والأكثر على الحكم بإسلامهم. فإن أرادوا بذلك كونهم كافرين في نفس الأمر لا في الظاهر، فالظاهر أن النزاع لفظي إذ القائلون بإسلامهم يريدون ما ذكرناه من الحكم بصحة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر، لا انهم مسلمون في نفس الأمر. ولذا نقلوا الإجماع على دخولهم النار، وإن أرادوا بذلك كونهم كافرين ظاهراً وباطناً فهو ممنوع ولا دليل عليه، بل الدليل قائم على إسلامهم لقوله ﷺ أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إلّه إلا الله. انتهى. وهو كلام جيد متين وجوهر ثمين جامع بين الأخبار الدالة على اسلامهم والأخبار الدالة على كفرهم، وحينئذ فلا معنى للقول بخروجهم من النار في الآخرة. والأخبار الواردة بكفرهم كثيرة لا تحصى، ولو كانوا في الدنيا والآخرة في حكم المسلمين فأي فرق بينهم وبين فساق الشيعة وأي فائدة فيما اجمع عليه الفرقة المحقة من كون الإمامة من أُصول الدين.

٩ ـ فيمن مات ولم يعرف امام زمانه :

روت العامة والخاصة متواتراً أو قريباً منه قوله ﷺ : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. ووردت أخبار متواترة انه لا يقبل عمل من الأعمال إلا بالولاية.

وفي الكافي، عن الحرث بن المغيرة في الصحيح قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله ﷺ من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية. قال نعم. قلت جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه. قال جاهلية كفر ونفاق وضلال.

وعن الصادق عليه السلام قال : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : من ادعى إمامة من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً.

وعن حنان عن الصادق عليه السلام قال : لا يبالي الناصب صلى أم زنا وهذه الآية نزلت فيهم : **﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾**.

وعنه عليه السلام قال : قال أبي كل ناصب وان تعبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية : **﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾** كل ناصب مجتهد فعمله هباء.

وفي ثواب الأعمال عنه عليه السلام قال : كل ناصب وان تعبد واجتهد يصير إلى هذه الآية : **﴿عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾**.

وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال : من خالفكم وان عبد واجتهد منسوب إلى هذه الآية : **﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾**.

وفي العيون عن المفضل عن الصادق عليه السلام عن آبائه قال : قال رسول الله ﷺ : لما أُسري بي إلى السماء أوحى إلي ربي جل جلاله وساق الحديث في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، إلى أن قال يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنتي، ولا اظللته تحت عرشي. الخبر.

وفي تفسير العسكري في قوله تعالى : **﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**(١). قال السيئة المحيطة به ان تخرجه عن جملة

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ٨١.

دين الله، وتنزعه عن ولاية الله، وتؤمنه من سخط الله، وهي الشرك بالله والكفر به، والكفر بنبوة محمد، والكفر بولاية علي بن أبي طالب وخلفائه، كل واحدة من هذه سيئة تحيط به، أي تحيط بأعماله فتحبطها وتمحقها، فأُولَٓئك عاملو هذه السيئة المحيطة أصحاب النار هم فيها خالدون.

وفي الكافي عن أبي حمزة عن أحدهما عليه السلام في الآية قال: إذا جحد إمامة أمير المؤمنين فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

وفي تفسير العياشي عن جابر قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله﴾**[1]. قال فقال: هم أولياء فلان وفلان، اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً، فلذلك قال الله تبارك وتعالى: **﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبعوا لو أن لنا كرة فنتبرء منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾**[2]. قال ثم قال عليه السلام هم والله يا جابر أئمة الظلم وأتباعهم.

وفي الصحيح عن الباقر عليه السلام: من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله ظاهر عادل أصبح ضالاً تائهاً، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق.

واعلم أن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله، قد ضلوا وأضلوا فأعمالهم التي يعملونها: **﴿كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾**[3].

وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾** الآية. قال عليه السلام: إنما عنى بذلك أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما ان تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله له النار مع الكفار: **﴿فأولَٓئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**.

وقد ورد في الناصب ما ورد من خلوده في النار. وقد روي بأسانيد كثيرة عنهم عليهم السلام: لو أن كل ملك خلقه الله عز وجل، وكل نبي بعثه الله، وكل صديق، وكل

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ١٦٥.
(٢) سورة البقرة؛ الآيتان: ١٦٥ ـ ١٦٦.
(٣) سورة إبراهيم؛ الآية: ١٨.

شهيد، شفعوا في ناصب لنا أهل البيت أن يخرجه الله عز وجل من النار ما أخرجه الله أبداً، وإن الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿ماكثين فيه أبدا﴾ .

وقد روي بأسانيد معتبرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت، لأنك لا تجد رجلاً يقول أنا أبغض محمداً وآل محمد، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تتولونا وتتبرأون من عدونا. والأخبار في ذلك كثيرة قد ذكرنا جملة منها في شرحنا على المفاتيح، نعم لا ريب ولا شبهة في أن الشيعة من سالف الزمان إلى هذا اليوم كانوا مستمرين على معاشرتهم ومساورتهم ومناكحتهم وموارثتهم، وقد أقرهم الأئمة على ذلك بل الأئمة كانوا على ذلك، فهم في الدنيا تجري عليهم أحكام الإسلام كما ذكره الشهيد وأشار إليه المفيد والله العالم بالحال .

وأما أصحاب الكبائر من الإمامية فلا خلاف في انهم لا يخلدون في النار، وأما أنهم هل يدخلون النار أم لا، فالأخبار فيهم مختلفة اختلافاً كثيراً، و لا يخفىٰ ما في التبهيم والإبهام من الحكم الكثيرة. ففي تفسير فرات بن إبراهيم عن ميسرة عن الرضا عليه السلام قال : والله لا يرىٰ في النار منكم اثنان أبداً، والله ولا واحد، قال قلت أصلحك الله أين هذا في كتاب الله. قال في سورة الرحمٰن وهو قوله تعالىٰ : ﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه منكم إنس ولا جان﴾ قال قلت: ليس فيها منكم. قال بلىٰ والله انه لمثبت فيها وإن أول من غيَّر ذلك لابن أروىٰ، أي عثمان بن عفان وذلك لكم خاصة، ولو لم يكن فيها منكم لسقط عقاب الله عن الخلق .

١٠ ـ أوصاف الشيعة :

وفي الكافي عن ميسرة قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال كيف أصحابك. فقلت جعلت فداك لنحن عندهم أشد من اليهود والنصارىٰ والمجوس والذين أشركوا. فقال أما والله لا يدخل النار منكم اثنان لا والله ولا واحد، والله إنكم الذين قال الله تعالىٰ : ﴿وقالوا ما لنا لا نرىٰ رجالاً كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار﴾[1]. ثم قال طلبوكم والله في النار فما وجدوا منكم أحداً. وورد في أخبار كثيرة أنّ الشيعة من شايع علياً عليه السلام في أعماله، وان الإيمان مركب من القول والعمل .

---

(١) سورة صٓ؛ الآية: ٦٢ .

وعن الصادق عليه السلام : انه ليس من شيعتي إلا من أعف بطنه وفرجه عن الحرام، واجتهد وسعىٰ في الطاعة والعمل الخالص لله .

وفي الكافي عن جابر عن الباقر عليه السلام قال : قال لي يا جابر أيكتفي من انتحل التشيع ان يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقىٰ الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر قلت: يا بن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة. فقال: يا جابر لا تذهب بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالاً، فلو قال إني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله فرسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله تعالىٰ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته. يا جابر والله ما يتقرب إلى الله تعالىٰ إلا بالطاعة ما معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ ومن كان لنا عاصياً فهو لله عدو، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع .

وعن المفضل عن الصادق عليه السلام قال : إياك والسفلة فإنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه واشتد جهاده وعمل لخالقه ورجىٰ ثوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أُولئك فأُولئك شيعة جعفر .

وعن جابر عن الباقر عليه السلام قال : إنما شيعة علي الحلماء العلماء الذبل الشفاه تعرف الرهبانية على وجوههم .

وعن الصادق عليه السلام : شيعتنا السائحون الذابلون الناحلون الذين إذا جهنّم الليل استقبلوه بحزن .

وعنه عليه السلام قال : شيعتنا أهل الهدىٰ وأهل التقوىٰ وأهل الخير وأهل الإيمان وأهل الفتح وأهل الظفر .

وعن الباقر عليه السلام قال : ليس من شيعتنا إلا من أطاع الله، وورد انه لا تدرككم شفاعتنا حتى تكونوا كالفحمة السوداء. والأخبار في ذلك كثيرة فينبغي للمؤمن ان يكون بين الخوف والرجا .

١١ ـ فيما يكون بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار :

روى الصدوق في الخصال، والعياشي في تفسيره عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله عز وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين، ليس هم من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثم خلق الله عز وجل أبا هذا البشر وخلق ذريته منه. لا والله ما خلت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها، ولا خلت النار من أرواح الكفار والعصاة منذ خلقها عز وجل، لعلكم ترون انه إذا كان يوم القيامة وصير الله أبدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة، وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار، ان الله تبارك وتعالىٰ لم يعبد في بلاده، ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحدونه ويعظمونه ويخلق لهم أرضاً تحملهم وسماء تظلهم، أليس الله عز وجل يقول : **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾** وقال الله عز وجل : **﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾**[(١)] .

وفي الخصال بسند معتبر عن جابر بن يزيد قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : **﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾**[(٢)] . فقال يا جابر تأويل ذلك ان الله عز وجل إذا أفنىٰ هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، جدد الله عز وجل عالماً غير هذا العالم، وجدد خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماء غير هذه السماء تظلهم. لعلك ترىٰ ان الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد، وترىٰ ان الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم، بلىٰ والله خلق الله تبارك وتعالىٰ ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، وأنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين .

ويمكن الجمع بين هذا الخبر وسابقه بحمل السبعة على الأنواع، وهذا على الأشخاص، ومضمون هذين الخبرين مذكور في كتب أساطين المحدثين، ولم يتعرض أحد من المتكلمين لذلك بنفي ولا إثبات، وأدلة العقل ان لم تعضده لا تنفيه، فينبغي التسليم. إلا أن الأخبار الواردة في ذلك لم تصل إلى حد يوجب القطع، فينبغي إيكال العلم إلى الله. ويعضدهما ما رواه أبو خالد القماط، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام

(١) سورة ق؛ الآية: ١٥ .
(٢) سورة ق؛ الآية: ١٥ .

ويقال لأبي جعفر، إذا أُدخل أهل الجنة الجنة، وأُدخل أهل النار النار فمه، قال فقال أبو جعفر إن أراد أن يخلق الله خلقاً يخلق لهم دنيا يردهم إليها فعل، ولا أقول لك إنه يفعل .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فمه، فقال ما أزعم لك انه تعالىٰ يخلق خلقاً يعبدونه. ويفهم من سياقهما ان الله تعالىٰ يخلق خلقاً آخر، ولكن الإمام عليه السلام لم يصرّح بذلك تقية وخوفاً من التشنيع .

الفصل التاسع

التوبة

١ ـ حقيقة التوبة :

في حقيقتها وهي عبارة عن معنىٰ ينتظم من ثلاثة أُمور مرتبة، أولها العلم، وثانيها الحال، وثالثها الفعل، والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث. والمراد بالعلم معرفة ضرر الذنوب، وانها السموم المهلكة المفوِّتة لحياة الأبد، الحاجبة للعبد عن محبوبه من السعادة الأبدية، ثم يحصل من هذا العلم حال، وهو أن يثور من هذه المعرفة تألم القلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم. وينبعث من هذا الألم في القلب حالة أُخرىٰ تسمىٰ إرادة، وقصد إلى فعل له تعلق بالحال بترك الذنب الذي كان له ملابساً، وبالاستقبال بالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر، وبالماضي يتلافىٰ ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلاً للجبر، والعلم الأول هو مطلع هذه الخيرات، وهو عبارة عن الإيمان والتصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، فإذا أشرق على القلب ثار الندم الباعث على ما تقدم. وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنىٰ الندم وحده، ويجعل العلم كالسابق والمقدمة، والترك كالثمرة والتابع. ولذا قال ﷺ : الندم توبة، إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه .

قال العلامة في شرح التجريد : التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية، والعزم على ترك المعاودة في المستقبل لأن ترك العزم يكشف عن نفي الندم .

٢ ـ وجوب التوبة وفضلها :

لا ريب في وجوب الاحتراز عن الأمراض والمهالك المفوتة لحياة الجسد عقلاً وشرعاً، فوجوب الاحتراز عن أمراض الذنوب ومهلكات الخطايا المفوتة لحياة الأبد